مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

الحوار النبوي الخصوصية الثقافية للشعوب والأفراد

إخلاص علي ديومه*

المستخلص:

يعرض البحث قضية الحوار النبوي، وأثره على خصوصية حرية الأفراد والشعوب، فلا شك أن الحوار في عصرنا الحاضر استجدت له وسائل حديثة لم تكن موجودة من قبل؛ جعلته أكثر انتشاراً وأعظم أثراً، وهذا يجعلنا نؤكد التزامنا بالهَدْى النبوي في الحوار، مما يجعله متطوراً يواكب الكبير والصغير، والمسلم والكافر، والطائع والعاصي، والموافق والمخالف.فطريقة الحوار بين الناس كفيلة بتضييق الخلاف أو إنهائه. وفي هذه المساحة سوف نطرح بعضاً من الأساليب النبوية في طريقة الحوار، وكيف أن نبينا محمد صل الله عليه وسلم، الذي اجتباه ربه، وجعله على خُلقٍ عظيم كان يحاور الناس، كل الناس الأعراب والمشركين، ومن حوله من أصحابه ، والوفود القادمة إليه، ليكشف عن تصوراتهم حول القضايا التي يطرحونها، ثم يرشدهم إلى أهداها وأصوبها بطريقة الحوار الهادف البناء. فلابد من الالتزام بوسيلة الحوار، والاستماع للطرف الآخر. وحل المُعضلات والتي كانت سبباً في سوء الفهم والخلاف، فبالحوار يكون الخروج من الاختلاف ووصلنا إلى الغاية التي مفادها (إختلاف الرأي لا يفسد للود قضية). ولعل خير ما يمكن أن يستخلص من هذا البحث : أن التنوع في الحوار هو أداة خصوبة وإغناء وأقتناء .

ABSTRACT:

The paper presents the issue of the prophetic dialogue، and its effect on the privacy of individuals and peoples' freedom. There is no doubt that dialogue in our present age has developed for it modern methods that did not exist before. It has made it more widespread and has a greater impact، and this makes us affirm our commitment to the Prophet's guidance in dialogue، making it advanced in line with the old and the young، the Muslim and the infidel، the obedient and the disobedient، the approver and the one who disagrees. The method of dialogue between people is sufficient to narrow or end the dispute. In this space، we will present some of the prophetic methods in the method of dialogue، and how our Prophet Muhammad، may God's prayers and peace be upon him، who invoked his Lord and made him to a great morality was dialogue with people، all the people، Arabs and polytheists، and those around him from his companions، and the delegations coming to him، to reveal Their perceptions about the issues that they raise، then he guides them to their goals and corrects in a constructive and purposeful manner. It is necessary to adhere to the method of dialogue، and to listen to the other party. And the solution of the dilemmas that were the cause of misunderstanding and disagreement، then through dialogue there is an exit from the difference and we have reached the goal that (difference of opinion does not spoil friendliness). Perhaps the best thing that can be concluded from this research: that diversity in dialogue is a tool for fertility، enrichment and acquisition.

* جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا-معهد العلوم والبحوث الإسلامية-تDayuma590@gmail>com0919269590

الكلمات المفتاحية:
الحوار – الأدب النبوي – خصوصية الحوار

المقدمة :

الحمدلله الذي أرسل رسوله بالدين الحق، قال تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدا﴾ [1] فهو البيان الواضح، الذي علا على كل الملل بشهادة الله سبحانه وتعالى؛ والصلاة والسلام على خير الأنام القائل: (لقد تَرَكتكم عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ)[2] .

تناول البحث نماذج من الحوار النبوي، تلك المعجزة النبوية الخالدة المتجددة المتطورة مع تطور أساليب العصر وكيفية حرية التعبير؛ فمن خلاله نتعرف على الوسائل والأساليب، وحقوق الفرد، وأحقيته في المشاركة التي كان يستخدمها النبي ﷺ في محاوراته؛ وتُعرف للبعض بالنظام الديمقراطي، فمن يطلع على هذا البحث يجد أن مبدأ الحوار في القرآن، والحوارفي السنة النبوية، يدور حول دائرة حرية الفرد؛ وإحترام حقوقه، وترسيخاً لحرية الأفراد، والديمقراطية في الإسلام؛ دعا القرآن الكريم إلى الحوار مع الآخرين حواراً رفيعاً مهذباً، كما قال الله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فالغلظة في الحوار، واستخدام المفردات الجافة، وسباب الناس وتحقيرهم وازدراؤهم، لا تحقق منه نتائج إيجابية في الحوار.

أهداف البحث :

1- الملازمة لأجواء التحدي الفكري، و الحوار المتبادل الذي يساعد على التوقد الذهني وإقامة الحجة ودفع الشبهات .

2- نشر المعارف والثقافات وتعزيز المعلومات ووجهات النظر حول موضوعات الحوار.

3- التعود على قبول ما لدى الطرف الآخر من حقائق، وإيجابيات، والاعتراف بها ، والاستفادة منها.

4- التعرف على كشف ما عند المحاور، من معلومات غير صحيحة، والعمل على تداركها وإصلاحها؛ حتى يتسنى له نزع قناعاته

5- التوصل إلى بيان الحقيقة الكبرى، وهي صدق الإسلام، وصحة تعاليمه وتشريعاته، وحرصه على تحقيق مصالح الناس وسعادتهم.

4- إفشاء الإلفة والمحبة بين البشر وتكوين العلاقات الجيدة .

منهج البحث :

اعتمد البحث، على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على الاستدلال والاستنباط من خلال : المصادر الرئيسة القرآن الكريم، وعزو الآيات للمصحف، والسنة النبوية الشريفة، مع تخريج الأحاديث من الصحاح من الكتب، مع جمع بعض المادة العلمية من المراجع الأصلية المعنية وفق أهداف البحث.

مشكلة البحث :

يمر العالم اليوم بمرحلة حرجة،بما فيه الأمة الإسلامية، والتي نخشى لها من الذل و الهوان، والعبودية. وكثر الحديث وتعددت الاجتهادات فإيماناً منا بأهمية المشاركة الجماعية المؤهلة ضمن منهجية تنطلق من الكتاب والسنة؛ كان لابد من التزامنا بأدب الحوار وفق قوله ﷺ :"تركْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ " بعيدا عن الجدل الذي يعتمد على الاجتهادات العقلية المجردة.

وترى الباحثة أنه يجب الالتفات لهذه المشكلة التي طالما أصبحت هاجساً يؤرق الشعوب والأفراد .

وتتبلور مشكلة البحث في التالي :

كيف نحصل على حوار هادي من غير تعصب يخدم القضية، يبني ولا يهدم ؟

ما أهمية الحوار بالنسبة لحياة الأفراد والشعوب في ظل المتغيرات المتسارعة؟ ومن أين نستمد منهجيته ؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في أهمية الحوار الذي يعد منهج الحكماء وسبيل العقلاء؛فهو السبيل الوحيد للرد

([1]) سورة الفتح، الآية 28.

([2]) أبن ماجة، محمد بن ماجة(د.ت) سنن ابن ماجة، ح5، ص41.

الموضوعي على دعاة الصراع الثقافي، وإقناعهم، لتوثيق أواصر الاتصال ما بين الشعوب والأفراد،وتحقيق التفاهم والتعاون والود الذي ضاع مع اختلاف القضايا وتنوعها وكثرتها؛ فكان لابد من جمع الصف، ورتق النسيج الاجتماعي بالحوار.وكان ﷺ مبادراً دائماً باقتحام فضاء الآخر والدخول معه في خصوصيته بالحوار الصريح ، فالحوار نوع من إنتاج المعرفة الراقية فقد سماه القرآن بالتعارف.

يقول الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[3]. لذلك كان لزاماً علينا أن نتعرف على ثقافة الآخر وخصوصِيته، ليعم التقارب والإلفة بين كافة الناس.

معنى الحوار لغةً واصطلاحاً :

الحوار في اللغة : هو الحور وهو: الرجوع عن الشيء إلى الشيء، ويقصد به المراجعة الكلامية[4]

الحوار اصطلاحاً : حديث يجري بين شخصين أو أكثر[5] أو هو حديث بين طرفين أو أكثرحول قضية معينة الهدف منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب بطريقة علمية إقناعية ولا يشترط فيها الحصول على نتائج فورية.[6]

نماذج من رؤية القرآن لخصوصية الحوار:

ليس الإهتمام بالحِوار فضولاً من القول بل ضرورة حضارية ولأنه يؤثر في تشكيل قيم الأفراد وافكارهم؛ فللحوار آداب كثيرة حريٌ بالمحاور أن يلم بها، فهي الطريقة لكسب الآخرين والتأثير فيهم . وقد أولى القرآن أدب الحوار أهمية بالغة، فهو الإطار الفني للدعوة والسحر الذي يفتن عقول الناس ويأثر أفئدتهم[7] .لذلك

(3) سورة الحجرات، الآية13

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم(د.ت) لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، ص217.

(5) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، د.ن، ص205

(6) خالد بن محمد المغامسي (1425ه) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ط1، مركز الملك عبدالعزيز للحوار، ص32.

(7) د.طارق بن علي الحبيب(1426ه) كيف تحاور، ط4، د.ن.

حثنا الإسلام على الحوار بالتي هي أحسن، تربيةً لنا وتعليماً، ومنها قول الله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [8].

وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[9].وقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[10].في القرآن الكريم الكثير من الآيات ذات الشكل الحواري، التي تزخر بعديد من الدلالات، فإذا توقفنا عندها فإنها تعطي إيحاءات تقترب من الطابع الشمولي لدلالة الحوار؛ إنسانياً ودعوياً ومنهجياً. ومنها قوله تعالى ﴿ :وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [11].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[12] في المجادلة بالتي هي أحسن المجادلة هي: مقابلة الحجة بالحجة، وكشف الشبه لدى من تجادله بالأدلة المقنعة والبراهين الواضحة[13].وقد أمر الله تعالى نبييه موسى وهارون عليهما السلام أن يجادلا الطاغية فرعون بالتي هي أحسن، وأن يُلينا له القول، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[14].

وقال تعالى مادحًا نبيه ﷺ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[15] قد يكون في التعنيف والغلظة على الكافر مفاسد كبيرة، فقد يقوده ذلك

(8) سورة آل عمران، الآية 64.

(9) سورة النساء، الآية 63.

(10) سورة النساء، الآية 63.

(11) سورة الكهف، الآية 34.

(12) سورة المجادلة، الآية1

(13)عزيز بن فرحان العنزي(2005م) البصيرة في الدعوة إلى الله، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ص123.

(14) سورة طه، الآية 44.

(15) سورة آل عمران، الآية 159.

لسب الله تعالى، أو سب الرسول ﷺ، أو سب الإسلام، ولأجل هذا نهى الله تعالى عن سب آلهة الكفار مع- أن سبها من الدين- وذلك خشية أن تولد منكراً أعظم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[16].وإذا كنا قد أُمرنا، بمجادلة أهل الكتاب، والملحدين بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم فأهل الإسلام أولى، بأن يراعى في جدالهم الرفق واللين، وإظهار الرحمة بهم، وليست هذه قاعدة مطردة، فقد يحتاج المجادل إلى نوع غلظة وشدة حسب مقتضيات الحال فقد تكون عند البَعض شبهة، فهذا الجنس من الناس يحتاج إلى مجادلة ومناظرة، بما يراه المُجادل والمناظر مناسبا من حاله، مع الأخذ بالاعتبار طبيعة الزمان والمكان، وأيضا عقيدة المناظر ومذهبه، فإن هذا من الحكمة. والمجادلة قد تكون بين مسلمَيْن في أصول الدين وفروعه، وقد تكون بين مسلم وكافر، وفي القرآن الكريم نماذج قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[17]

اعتمد الإسلام طريق الحوار الحسن، في تبليغ رسالته و في عرضه لدعوته، أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[18].

فالمحاور المسلم يجب أن يكون مؤهلاً للانخراط في الحوار حتى يجني ثماره وينفع نفسه ودينه منه، فكان عليه أن يأخذ بآداب الحوار ويلتزم بمعاييره التي تتحقق بها أعلى فائدة منه، ومن أهم هذه الآداب:العلم بالدليل والبرهان، والتحلي بأخلاق الحوار وأن بوجه الاستدلال الصحيح، يقول الله تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[19] . فمن واجبات أطراف الحوار، التزام الطرق الاقناعية الصحيحة؛ كتقديم الأدلة المثبتة للأمور، وإثبات صحة النقل لما نقل.

مما سبق يتضح جلياً أن الحوار يستمد مشروعيته من القرآن الكريم نفسه الذي حكى كثيراً من الحوارات على سبيل التعليم والموعظة ابتداءً بحوار الله تعالى نفسه مع الملائكة حول خلق آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[20] ومروراً بحوارات الرسل مع أقوامهم، وانتهاءً بحوارات الرسول الخاتم ﷺ مع اليهود والنصارى.

نموذج من الأدب النبوي في الحوار الذي يخص ثقافة الأفراد :

الثقافة يقصد بها: مجموع العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها ويمتثل لها أفراد المجتمع. ذلك أن الثقافة هي قوة وسلطة موجهة لسلوك المجتمع، تحدد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم والعالم من حولهم . وقد يوجد في داخل كل ثقافة من يدعو إلى العزلة والانقطاع عن الآخرين، أو أسوأ من ذلك إلى التعالي وتفخيم الذات واحتقار الآخرين. وقد يصل هذا إلى مرحلة العداء للآخرين، وتشكيل خطر على وجودهم. ولذلك كان لا بد من الحوار حتى يخفف من حدة هذا العداء ويجعل أصحاب الثقافات يتعايشون ويفهم كل منهم الآخر[21].

وبما أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لكل البشر، على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمدا ﷺ :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[22] وقال

([16]) سورة الأنعام، الآية 108.

([17]) سورة آل عمران، الآية 66.

([18]) سورة النحل الآية 125

([19]) سورة البقرة، الآية111.

([20]) سورة البقرة، الآية 30.

([21]) أحمد بن سيف تركستاني(د.ت) الحوار مع أصحاب الأديان، وزارة الأوقاف السعودية، ص13.

([22]) سورة الأعراف، الآية 158.

النبي ﷺ: "والذي نفسُ محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"[23]. فكان لابدّ أن يتصف المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع منفتح على المجتمعات والأفكار والثقافات الأخرى مادامت بعيدة عن الخرافات والأوهام، مسايرة للفطرة السليمة، متفقة مع منهج الله، فالإسلام لا يمنع من الجهر بتلك الأفكار وإعلانها؛ لأن الغاية من الدعوة الإسلامية . كانت ولا تزال، صلاح حال الإنسان وسعادته، ومن أجل ذلك وُجِّهت إليه التشريعات والإرشادات، وكفلت له الحريات وذلك بأن جعل له الحلال واسعاً ليتحرك فيه بحرية . ونسبة لعالمية الدعوة،وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام جميع المخلوقات المكلفة ، فإنه كان يراعي الحرية الفردية للمخاطب في إختيارما يريد، لهذا نجد أن الأسلوب النبوي مع الكافرين يتدرج، ثم التعليم لمن يُبدئ رغبةً، ثم إقناع المسلمين منهم، أو تأليف قلوبهم. ثم الذود عن الإسلام بأسلوب يتناسب حال الكافر؛ وأبرز مثال لذلك تنازلاته ﷺ في صلح الحديبية ، حتى غضب سيدنا عمر فقال: سيدنا عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صل الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا، قال: «بلى» ، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل، قال: «بلى» ، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري» ، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به» [24] بوصفه مشرعاً وقائداًحتى ولو أثار حفيظة بعض الصحابة.فكان متأدباً وحليماً حتى مع من يخالفه؛ويحسن الاستماع للطرف الآخر . والهدف من الحوار، هو التوصل إلى بيان الحقيقة الكبرى، وهي صدق الإسلام ، وصحة تعاليمه وتشريعاته، كما فعل جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه، مع النجاشي ملك الحبشة في قصته المشهورة.ومن حسن آدب النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يصغي جيداً لمحاوره، بل كان يتفضل فيمنحه الفرصة الأولى للإدلاء بآرائه وحججه. وروى ابن اسحق في سيرته ﷺ «أن عتبة بن ربيعة قال يوماً وهو جالس في نادي قومه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد وحده فقال: يا معشر قريش ألا أقُوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟! – وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون – فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا ابن أخي. إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، عبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قل يا أبا الوليد أسمع ". قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منها، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: " أفرغت يا أبا الوليد؟ " قال: نعم، قال: " فاستمع مني ". قال: أفعل. قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّ الله الرحمن الرحيم: (حم) (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها إلى السجدة واستمع إليها عتبة

([23]) مسلم ، مسلم بن الحجاج(د.ت) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صل الله عليه وسلم ، حديث رقم 386.

([24]) البخاري، محمد بن إسماعيل(1407ه) الجامع الصحيح، ترقيم: د. محمد أديب البغا، ح2731، دار ابن كثير، دمشق، ص193.

حتى تغير وجهه وتأثر مما سمع وذهب إلى القوم وهو يمدح القرآن فقالوا له: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه»[25] .ومهما تكن نتيجة الحوار فالمسلم مكلف بالاستماع تطييباً لخاطر من يتكلم وذلك أدعى إلى جلبه إلى جانب الحق، لرأب الصدع ولم الشمل .

وقد جاء في كتاب النبي . صل الله عليه وسلم . إلى هرقل ملك الروم الذي دعاه فيه إلى الإسلام، وفيه : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأَرِيسِيّين (الفلاحين والأتباع)[26] ، ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[27].

الدعوة في الرسالة كانت بدعاية الإسلام، (أدعوك بدعاية الإسلام) في حين في رسالته – ﷺ –لكسرى كانت(بدعاية الله)، لأن النصرانية ليس لها مشكلة في قضية إيمانها بالله سبحانه وتعالى، ولكن مشكلتها في اختراع ابن لله سبحانه وتعالى، وإن الإسلام كمنهج عقدي يتناول هذه القضية الجوهرية ويعالجها علاجاً جذرياً.فبم أن هرقل كان على دين النصرانية، فقد خُتمت الرسالة بآية قرآنية، لأن عقلاء النصارى يستطيعون أن يميزوا كلام البشر عن كلام الله سبحانه وتعالى، لخبرتهم واطلاعهم ومعرفتهم بالإنجيل من قبل وربما التوراة أيضاً، فبالتالي تعطي هذه اللفتة قوة للرسالة في التأثير النفسي على هرقل ومن عنده، لما فيها من تأييد أن محمداً – ﷺ – رسول من الله سبحانه وتعالى.عالجت الرسالة ضمن الآية القضية التي أخطأ فيها قوم هرقل وأتْباعه، باتخاذ(الأرباب من دون الله)، وإن أحبارهم ورهبانهم هم الذين يستعبدون الناس، وإنما جاء الإسلام لمعالجة الأمر أيضاً، فلا رب إلا الله سبحانه وتعالى.

أشارت الرسالة إلى الأَرِيُسِيين، وهم أما أن يكونوا بسطاء الروم وضعفاؤهم ومزارعيهم[28]، فيكون القصد في أن رئاسة الناس أمانة في عنق حاكمهم، فإن أظلهم فسيبوء بذنوبهم، لأن الناس على دين ملوكهم، وأما أن يكون الأريسيون هم من على عقيدة أريوس ذلك الرجل المصري النصراني الذي دعا إلى توحيد الخالق ﷻ وأن المسيح ليس ابن الله، وأصبح له اتباع كثيرون، فهنا يكون مراد الرسالة أن الكثير من الروم تدعوهم فطرتهم لأن يكونوا موحدين لله ﷻ، وإن هرقل قد أفسد عقيدتهم التي هي أقرب ما يكون لما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم .فالرسالة فيها الحسم والوضوح في طرح أكثر من قضية بشكل مباشر وصريح، ولم تكن لهجتها شديدة أو عنيفة، بل انطوت على الكثير من الرقة واللطف والدلائل الواضحة المقترنة مع قوة الموقف.

فيأتي الحوار النبوي مزيجاً من الأسلوب العاطفي والعقلي، ليكون أكثر فاعلية في الترغيب في الإسلام، والاعتراف بضرورة الاعتقاد بربٍ واحدعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي: «يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهًا» ؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ» ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ» .قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي"[29]

([25]) سيرة ابن إسحاق، باب آحاديث الأحبار و أهل الكتاب بصفة النبي صل الله عليه وسلم، ص207.

([26]) شمس الدين بن قايماز ، محمد بن أحمد بن عثمان (1993م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، ص289.

([27]) سورة آل عمران، الآية65.

([28]) ابن حجر، أحمد بن علي(د.ت) فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ن

([29]) الترمذي، محمد بن عيسى(د.ت) سنن الترمذي، ح3483، دار الكتب العلمية، بيروت، ص519.

إستخدم النبي صلى الله عليه الحوار الاستجوابي، فكان من الوسائل الناجحة لإقناع من يرجي إسلامه من المفكرين والعقلاء، وما زال من أفضل الوسائل المتبعة إلى يومنا، إنه وسيلة للتعليم والإقناع، وإلزام الخصم بالحجة.كما رؤية عن محاورته مع عدي بن حاتم النصراني: نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانيا، فانتهى إلى رسول الله ﷺ، وهو يقرأ سورة براءة، فوصل إلى هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[30]، قال، فقلت: لسنا نعبدهم، فقال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ " قلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم". : قال ﷺ: "يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله؟ ما يضرك؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلها غير الله؟ " ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه استبشر، ثم قال: "إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون"[31].

فكان يحاور قلوبهم ويكون المدخل بما يحبونه، فهذا نوعٌ آخر من الحوار للإقناع .فَاسْتَبْشَرُوا– أَيِ النَّاسَ– وَقَالُوا: جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، فَقَالَ: "يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ". فَقُلْتُ: إِنِّي عَلَى دِينٍ. قَالَ: "أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ، أَلَسْتَ رَكُوسِيًّا"؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "أَلَسْتَ تَرْأَسُ قَوْمَكَ"؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "أَلَسْتَ تَأْخُذُ الْمِرْبَاعَ"؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "فَإِنَّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ فِي دِينِكَ". قَالَ: فَوَجَدْتُ بِهَا عَلَيَّ غَضَاضَةً. ثُمَّ قَالَ: "إِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَمْنَعَكَ أَنْ تُسْلِمَ أَنْ تَرَى بِمَنْ عِنْدَنَا خَصَاصَةً، وَتَرَى النَّاسَ عَلَيْنَا إِلْبًا وَاحِدًا، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ"؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ عَلِمْتُ مَكَانَهَا. قَالَ: "فَإِنَّ الظَّعِينَةَ سَتَرْحَلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ بِغَيْرِ جِوَارٍ، وَلَتُفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كُنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ". قُلْتُ: كُنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَلَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى يُهِمَّ الرَّجُلُ مَنْ يَقْبَلُ مَالَهُ مِنْهُ صَدَقَةً". قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْحَلُ مِنَ الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ، وَكُنْتُ فِي أَوَّلِ خَيْلٍ أَغَارَتْ عَلَى الْمَدَائِنِ"[32].

بل إن من يراجع أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، يجد كثيرا من الوقائع التي أثَّر فيها الحوار والجدال الحسن، في تخلي كثير من الأفراد والجماعات عن معتقداتهم وقناعاتهم وسلوكياتهم الخاطئة، واعتناق الإسلام والرضا بتعاليمه وتشريعاته.عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نُهِينا أنْ نَسْأَلَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عن شيءٍ، فَكانَ يُعْجِبُنا أنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِن أهْلِ البادِيَةِ العاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فَجاءَ رَجُلٌ مِن أهْلِ البادِيَةِ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أتانا رَسولُكَ فَزَعَمَ لنا أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أرْسَلَكَ، قالَ: صَدَقَ، قالَ :فمَن خَلَقَ السَّماءَ؟ قالَ: اللَّهُ، قالَ: فمَن خَلَقَ الأرْضَ؟ قالَ :اللَّهُ، قالَ: فمَن نَصَبَ هذِهِ الجِبالَ، وجَعَلَ فيها ما جَعَلَ؟ قالَ :اللَّهُ، قالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّماءَ، وخَلَقَ الأرْضَ، ونَصَبَ هذِهِ الجِبالَ، آللَّهُ أرْسَلَكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا خَمْسَ صَلَواتٍ في يَومِنا، ولَيْلَتِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ :فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ : وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا زَكاةً في أمْوالِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ :فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضانَ في سَنَتِنا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: فَبِالَّذِي أرْسَلَكَ، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ :وزَعَمَ رَسولُكَ أنَّ علَيْنا حَجَّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلًا، قالَ: صَدَقَ، قالَ: ثُمَّ ولَّى، قالَ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، لا أزِيدُ عليهنَّ، ولا أنْقُصُ منهنَّ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ [33].

فكان – ﷺ . في حواره مع صاحب المعصية يترفق به، ولا ينظر إلى جرأته على معصية الله فيعنفه، بل يلمس

([30]) سورة التوبة، الآية31.

([31]) الرازي، الفخر الرازي (د.ت) تفسير الرازي، ج16، د.ن، تتمة سورة التوبة الآية31، ص31/16

([32]) شمس الدين بن قايماز، تاريخ الإسلام ، مرجع سابق، ص289.

([33]) صحيح مسلم باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين ح12 ج1، مرجع سابق، ص41

جانب الخير فيه فيحركه بمنطق الحوار مؤمنًا فيه الجانب الفكري والأخلاقي.

فعن أبي أمامة رضى الله عنه قال: إنَّ فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ، مَهْ (أي: ماشأنك؟. وما وراءك؟). فقال له النبي ﷺ: أُدْنُهْ مني، فدنا منه قريبا فجلس، فقال له: أتحبُّه لأمك؟فقال: لاوالله، جعلني الله فداءك..... فوضع ﷺ يده على صدره، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجَه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[34].وهكذا صبر النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الفتى، وحاوره وحرَّك عواطفه وحميَّته الفطرية بالحسنى، وعرض له الحجج، وتعاطف معه بوضع يده على صدره والدعاء له، حتى تمكَّن من نزع قناعاته وسلوكياته الخاطئة، وإبدالها بقناعات وسلوكيات حسنة؛ فتحول مفهوم الزنا عند الشاب من قضاء للوطر ومتعة إلي أنه تعدي علي حقوق الآخرين في الشيء الذي لا يرضاه الإنسان لنفسه فكيف يرضاه لغيره.[35] فهذا ما ينبغي فعله اليوم مع النشاذ وبعض التفلتات من الشباب ك(شباب توك وأمثالهم)؛ فيجب إحتواؤهم ومقارعتهم بالحجة، لإنتشالهم إلى بر الأمان .

فكان ﷺ يحاور الجاهل: فحواره مع الإعرابي الذي بال في المسجد ليس ببعيد"وقال النووي: " وفيه الرّفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيفٍ ولا إيذاء، إذا لم يأتِ بالمخالفة استخفافاً أو عناداً ، وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما" [36]

فمن آداب الحوار النبوي مع الآخرين الاستماع والمناقشة، وإنزال الناس منازلهم فقد قال . صل الله عليه وسلم . لِعُتْبة: (أفرغت يا أبا الوليد)، وقال لهرقل ملك الروم النصراني: (من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم)، وذلك الأدب النبوي في الحوار أصله قول النبي ﷺ .: الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسول الله . ﷺ . أن ننزل الناس منازلهم)، ومن ثم فعلى المحاور والداعية ألا يعتدي في وصف محاوره ومخالفه ومن يدعوه بالجهل والسفه أو غير ذلك، فقد قال . ﷺ:- (ليس المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء)[37].

فكان يحاور الشعوب ﷺ، ولا يُنفذ إلى خصومة فقد عرض الإسلام على وفد نجران، ودار بينهما حوار حول خلق عيسى عليه السلام وارادوا معه الْمُلَاعَنَةَ: فَلَمَّا أَتَى رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبرُ مِنْ اللَّهِ عَنْهُ، والفَصْلُ مِنْ الْقَضَاءِ بينَه وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَ بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ مُلَاعَنَتِهِمْ إنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، دَعَاهُمْ إلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، دَعْنَا نَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إلَيْهِ. فَانْصَرَفُوا عنه. فجاء في سيرة ابن إِسْحَاقَ "عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ عَنْ حُذَيْفَةَ.قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّاهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا رجلاً أَمِينًا، فَقَالَ: " لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حقَّ أَمِينٍ " فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ قم يا أبا عبيدة الْجَرَّاحِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم: " هذا أمين هذه الأمة[38]

كان ﷺ يحاور أصحابه حواراً تربوياً: جاء عن عطاء بن يسار ان رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله استأذن على أمي؟ فقال: نعم. قال الرجل: اني معها في البيت. فقال رسول الله ﷺ: أستأذن عليها. فقال الرجل: اني خادمها. فقال له رسول الله ﷺ: استأذن عليها.

([34]) ابن حنبل، أحمد(د.ت) مسند أحمد، ج5، د.ن، ص 257، وقال في مجمع الزوائد 1/ 129: رجاله رجال الصحيح

([35]) دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري – سلطان بن مسعد الصاعدي1432هـ

([36]) شرح النووي على مسلم، ح1773

([37]) سنن الترمذي، مرجع سابق، ج4، ص350 ح1977

([38]) ابن كثير، اسماعيل ابن كثير (د.ت) البداية والنهايه، دار ابن كثير، بيروت، ص63. ابن هشام، عبد الملك(د.ت) سيرة ابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ص65.

أتحب ان تراها عريانة؟ قال: لا. قال: فاستأذن عليها.إن هذا الحوار فيه نتائج واضحة أوصلت السائل إلى نتائج عقلية سليمة فيها غاية الادب والاحترام والتوقير للأمهات و المحارم عند ارادة الدخول إليهن الاستئذان عليهنَّ قبل الدخول.

وفي هذا حوار أسري يوضح النبي ﷺ إن كل إنسان معه شيطان وعليه الا يغلبه فيوقعه في الشر. وقد تعجبت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها واستفهمت لما قال لها رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك والحديث من أوله جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي ليلا فغرت عليه فجاء فرأى ما اصنع.فقال: مالك يا عائشة أغرت؟ قلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانك. قلت: يا رسول الله أومعي شيطان؟ قال: نعم. قلت: ومع كل انسان؟ قال: نعم. قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم ولكن ربي أعانني حتى أسلم[39].فأم المؤمنين اصابها القلق من خروج النبي عليه الصلاة والسلام من عندها فحاورها وبين لها حتى سكن روعها.

وهذا نوع آخر من التربية بالحوار وفيه حفظ دماء الناس لان ليس كل واحد له الحق في اطلاق الفتوى. الصحابي المقداد بن الاسود رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: قلت يا رسول الله أرأيت ان لقيت رجلا من الكفار فقاتلني فضرب احدى يدي بالسيف ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أفأقاتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال: لا تقتله. فقلت: يا رسول الله إنه قطع يدي قال: لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل ان تقتله، وانت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قالها. الصحابي مقداد سأل رسول الله ﷺ عن قضية خطيرة. كافر محارب يقطع يد مسلم، ثم يعلن الاسلام بعد اليأس من النجاة، ويجيبه الرسول ﷺ بعدم شرعية القتل. لأنه أعلن الإسلام ولكن المقداد يتعجب من هذا الأمر، فيجادل للتأكد من فهم الفتوى، فيقول: أن الكافر كان محاربا وقد قاتلني فقطع يدي فعلاً. ويجيبه الرسول ﷺ بما معناه: إن قتلته بعد إسلامه صار دمك مباحاً بالقصاص، كما أن دم الكافر مباح بحق الدين.فهنا ﷺ يعالج الغيرة : وهذا رجل غيور يحاور النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: اتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله ان امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: رمك . اي رمادي . قال النبي صلى الله عليه وسلم اربما جاءت بالبعير الاورق؟ قال: يا رسول الله نعم. قال: فأين ترى ذلك؟ قال: اراه نزعة عرق. فقال النبي ﷺ وهذا نزْعةُ عرقٍ[40].القضية فيها غيرة الرجل على نسائه وعرضه،فحاوره ﷺ من بيئته التي يعيش فيها، واوصله الى بر الامان.

حرص النبي ﷺ، على التربية المتوازنة في الحوار.لقد حرص الرَّسُول صل الله عَلَيْهِ وَسلم، على محاورة أَصْحَابه على التَّوَسُّط الَّذِي لاغلو فِيهِ وَلَا جفَاء، وَذَلِكَ بِإِعْطَاء كل شَيْء حَقه، فَالنَّفْس لَهَاحظها من الْعِبَادَة وَالطَّاعَة، وَلها حظها من الترويح والراحة، والجسد لَهُ حَقه وحظه من المأكل وَالْمشْرَب، وان لَا يُكَلف مَالا يُطيق والأهل من الزَّوْجَة وَالْأَوْلَاد لَهُم حَقهم من الرِّعَايَة و الْعِنَايَة وَلكُل شَيْء حَقه؛ وَالْإِسْلَام أعْطى كل شَيْء حَقه.وَلم يُعْط جانباًعلى حِسَاب الجوانب وَهَذَا يكون بالحوار الَّذِي تميز بِهِ ﷺ، كما دلّت عَلَيْهِ النُّصُوص الْكَثِيرَة فَعَن عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم دخل عَلَيْهَا وَعِنْدهَا امْرَأَة قَالَ: من هَذِه؟ قَالَت فُلَانَة تذكر من صلَاتهَا قَالَ: (مَه، عَلَيْكُم بِمَا تطيقون فوَالله لايملّ الله حَتَّى تملوا)[41]

وعندما رأى صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي بعض أَصْحَابه جنوحاً عَن التَّوَسُّط وبعداً عَن السماحة واليسر ردَّهم إِلَى

([39]) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان4، ج2168،4 ،ح2815.

([40]) صحيح الخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد53/7 ح5305

([41]) عقيل قاسم النشمي(د.ت) طَرِيق الْبناء التربوي الإسلامي، دار الدعوة، ص 88، 89.

سنته وهديه بالحوار الإقناعي.فَعَن أنس بن مَالك رَضِي الله عَنهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَة رَهْط إِلَى بيُوت أَزوَاج النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يسْأَلُون عَن عبَادَة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَلَمَّا أخبروا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوها. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحن من النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقد غفر لَهُ مَا تقدم من ذَنبه وَمَا تَأَخّر.

قَالَ أحدهم: أما أَنا فأصلي اللَّيْل أبدا، وَقَالَ آخر: أَنا أَصوم الدَّهْر فَلَا أفطر، وَقَالَ آخر: أَنا أعتزل النِّسَاء فَلَا أَتزوّج أبدا، فجَاء رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ: (أَنْتُم الَّذين قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أما وَالله إِنِّي لأخشاكم وأتقاكم، وَلَكِنِّي أَصوم وَأفْطر وأصلي وأرقد وأتزوج النِّسَاء فَمن رغب عَن سنتي فَلَيْسَ مني)[42].فَهَذِهِ سنته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لَيْسَ فِيهَا غلو وَلَا إجحاف فِي حق النَّفس واعطاء لكل شَيْء حَقه. وتوسط فِي الْأُمُور. وَلم يقرّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من يشق على نَفسه بِالْعبَادَة ويتجاوز الِاعْتِدَال.دخل مرّة صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَإِذا حَبل مَمْدُود بَين الساريتين فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبل؟ قَالُوا: هَذَا حَبل لِزَيْنَب فَإِذا فترت تعلّقت بِهِ فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم:

(لَا، حُلُّوه ليصل أحدكُم نشاطه فَإِذا فتر فليقعد)[43]

وأقرّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم سلمَان لما أنكر على أبي الدَّرْدَاء رَضِي الله عَنْهُمَا تشدده وتقصيره فِي حق أَهله وَنَفسه، فَعَن أبي جُحَيْفَة عبد الله بن وهب رَضِي الله عَنهُ قَالَ: آخى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بينَ سَلْمانَ وبينَ أبي الدَّرْداءِ، فزار سَلْمانُ أبا الدَّرْداءِ، فرأى أمَّ الدَّرْداءِ متبذِّلةً، فقال: ما شأنُكِ متبذِّلةً؟! قالتْ :إنَّ أخاكَ أبا الدَّرْداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنْيا. قال: فلمَّا جاء أبو الدَّرْداءِ، قرَّبَ إليه طعامًا، فقال: كُلْ، فإنِّي صائمٌ. قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكُلَ. قال: فأكَلَ، فلمَّا كان الليلُ ذهَبَ أبو الدَّرْداءِ ليقومَ، فقال له سَلْمانُ: نَمْ، فنام، ثمَّ ذهَبَ يقومُ، فقال له: نَمْ، فنام، فلمَّا كان عندُ الصُّبْحِ، قال له سَلْمانُ: قُمِ الآنَ، فقاما فصلَّيَا. فقال: إنَّ لنفسِكَ عليكَ حقًّا، ولربِّكَ عليكَ حقًّا، ولضَيفِكَ عليك حقًّا، وإنَّ لأهلِكَ عليكَ حقًّا، فأَعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأَتَيا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فذَكَرا ذلكَ؟ فقال له :صدَقَ سَلْمانُ)[44].هَا هُوَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، يقرُ الحوار الذي دار بين الصحابيين، ويؤكد مَنْهَج التَّوَسُّط والاعتدال.كان رسول الله صل الله عليه وسلم أقدر الناس على تربية العواطف الربانية، والاعتماد عليها عند الضرورة.

فكان يخاطب القلوب والوجدان من خلال الحوار كما ورد عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا "أي من غنائم هوازن وسباياها" في قريش، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، فأمر سعد بن عباة فجمعهم، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم؟ وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالةً فأعطاكم الله؟ وأعداءً فألف بين قلوبكم؟ ". قالوا: بلى والله ورسوله أمن وأفضل.ثم قال: "ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ " قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل.قال رسول الله ﷺ: "أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم، في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، وركلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة، والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحابكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار"قا ل: فبكى القوم

([42]) البخاري باب الترغيب في النكاح ح5063 ج7، ص2

([43]) منار القاريء، شرح مختصر صحيح البخاري – باب ما يكره من التشديد في العبادةج2/338ح478 حمزة محمد قاسم

([44]) البخاري صحيح البخاري، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، حديث رقم، 1885

حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: "رضينا برسول الله قسما وحظا[45]هذه التربية النبوية العظيمة، وهذا الحوار النبوي العاطفي يدلنا على أمور:

أهمها:– أن الاعتماد على العواطف الربانية في المواقف الخطيرة، يجب أن يسبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه العواطف، وكان رسول الله كما ورد قد ربى هذه العواطف في نفوس الأنصار، حتى أصبح الله ورسوله أحب إليهم من المال، والولد والناس أجمعين.– استخدام رسول الله ﷺ أسلوب القرآن الاستفهامي، لإثارة العواطف: وكأنه اقتبس من سورة الضحى ذلك القبس الإلهي حين قال لهم: "ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ ".– وراعى رسول الله ﷺ أنهم بشر وليسوا ملائكة، وأرادهم أن يدافعوا عن أنفسهم بشيء من القول، فلما استحيوا منه، دافع عنهم بالنيابة عن أنفسهم، لئلا يترك في نفوسهم شيئا من الواجد، فقال: "أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك.."، وهكذا نجد أن على المربي في المواقف الحرجة، ألا يصدر حكمه قبل أن يسمع من الذين يربيهم، أو يريد أن يحاكمهم، في هفوة ارتكبوها[46]. لقد اتبع ﷺ . في حواره مع الأنصار أسلوبا تربوياً حكيما ورقيقاً، خاطب فيه عقولهم وعواطفهم، فكانت النتيجة أن انقادوا طائعين راضين مذعنين.

كان ﷺ يستخدم الحوار ليُلَطِّفَ الأجواء بينه وبين أصحابه؛ فقد كانوا رضي الله عنهم يحملون له توقيرًا كبيرًا قد يجعلهم متحفِّظين في التعامل معه صلى الله عليه وسلم، بينما كان هو يُريد أن يتلطَّف لهم ليطمئن على أحوالهم؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في غزوةٍ، فلمَّا قَفَلْنا كنَّا قريبًا من المدينة، تَعَجَّلْتُ على بعيرٍ لي قَطُوفٍ ، فَلَحِقَنِي راكبٌ من خلفي فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كانت معه، فسار بعيري كأحسن ما أَنْتَ رَاءٍ من الإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ فإذا أنا برسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، إنِّي حديث عهدٍ بِعُرْسٍ. قال : »أَتَزَوَّجْتَ؟ «قلتُ: نعم. قال» :أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟ «قال: قلتُ: بَلْ ثَيِّبًا. قَالَ» :فَهَلاَّ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ .«قال: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فقال» :أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلاً –أي عشاء– لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ «[47].

وأهم مَنْ طبَّق الحوار للتعليم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان أحسن وأفضل مُعَلِّم لأُمَّته، بل للبشرية جميعًا؛ ومن ثَمَّ فمواقف حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بغرض تعليمهم تندُّ عن الحصر؛ ومن هذه المواقف ما يلي:

جلس الرسول ﷺ ذات يوم مع أصحابه، فقال لهم –فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم» :أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ؟ «قالوا: المفلس فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع. فقال» :إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[48].

ففي هذا الحديث استخدم الرسول ﷺ الحوار في تصحيح مفهوم لدى الصحابة، وهو معنى »الإفلاس» الذي يحمله العامَّة على الإفلاس المادي، وهذا ما أجاب به الصحابة على استفهام رسول الله ﷺ .وهنا يُصَوِّب الرسول ﷺ ذلك المفهوم، ويربطه بيوم القيامة، والحسابِ الذي يجري فيه.وبهذا الأسلوب الفذِّ غرس رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه كراهية الإساءة إلى الناس؛ حتى

([45]) عبدالرحمن النحلاوي(د.ت) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط25، دار الفكر، ص85.

([46]) المرجع السابق ، ص186.

([47]) البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج الثيباتى، ج5، ح5097، ص7.

([48]) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ج4، ح2581، ص1997.

لا تضيع حسناتهم، ويصيروا من المفلسين بمقاييس الآخرة.

كان رسول الله ﷺ كما يُعَلِّم الناس الصواب بالحوار؛ يُزيل عنهم به ما يعتريهم من الشبهات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ من أصحاب النَّبيّ صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلَّم به . قال» :وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ .«قالوا: نعم. قال» :ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ«[49] فهنا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يُهَدِّئ من روع الصحابة الذين يأتيهم الشيطان بوساوسه حول الله عز وجل، ويُبَيِّن لهم أن هذا بسبب اتصافهم بالإيمان الخالص.

لقد لقي النبي عليه الصلاة والسلام من المنافقين ما تشيب منه النواصي من المواقف الدنيئة، والأفعال الساقطة.ومع ذلك فقد كان يعاملهم بما يشبه معاملة المهتدين من المسلمين من الرحمة والرفق، ومعاملة الإساءة بالعفو أو الإحسان.وكان يحاورهم بألطف المحاورة، ولعل أجلاها ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبدالله بن أُبَي بن سلول، وقد جاء . عن أسامة بن زيد، أن نبي الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث من الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي قبل أن يسلم _أي: يتظاهر بالإسلام_ فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غَشِيَتِ المجلسَ عجاجةُ الدابةِ خَمَّر عبدُالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال بن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال: عبدالله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي " يُخَفِّضُهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي دابته، حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب _يريد بن أبي_ قال: كذا وكذا. قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة – البلدة وهي يثرب –التي صارت المدينة وطيبة على أن يتوِّجوه فَيُعَصِّبوه بالعصابة _أي: يتوجوا عبدالله بن أبي ملكاً عليهم_ فلما أبى الله ذلك، فاتت الفرصة على عبد الله ابن أُبَي، وفاته الملك للإسلام الذي جاء؛ فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك _أي: غص به وكرهه_ فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله [50] فهذا الحديث من أعظم ما يكون من أمثلة التعامل مع المخالف.

ولو أراد أحدنا أن يستقصي ما يتعلق بالحوار لطال به المقام؛ فانظر كيف اسْتُقْبِلَ عليه الصلاة والسلام بذلك الاستقبال الفاتر الذي لا يليق بأحط الناس فكيف بخير الناس، حيث غطى ابن أبي أنفه بردائه إشارة إلى الكراهية.

ولم يكتف بذلك، بل قال:(لا تغبروا علينا) فاجتمع في الإساءةِ إشارةُ اليد، وإطلاقُ اللسان.

فقال له ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه (فقد نادى النبيَّ ﷺ" بنداء المُنْكِر له ولنبوته فقال: (أيها المرء) ولم يقل: يا نبي الله أو يا أبا القاسم أو يا محمد .وبعد أن اسْتَبَّ المجلس، وكادوا يتقاتلون صار عليه الصلاة والسلام يخفضهم بلهجته الهادئة الرحيمة حتى سكنوا، وزالت عنهم ثورة الغضب.ثم لما لم يجد للحوار قيمة بعد ذلك ركب دابته، وانصرف.

([49]) صحيح مسلم 119/1، ح209 كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان

([50]) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – باب (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) آل عمران186 – 39/6 ح4566

وهل وقف الأمر عند هذا ؟ لا، بل إنه لما دخل على سعد بن عبادة قال عليه الصلاة والسلام: يا سعد ! ألم تسمع ما قال أبو حباب _ يريد عبدالله بن أبي _ قال: كذا وكذا.

فانظر لهذا الأدب الرفيع، وهذه النفس الكبيرة، وذلك القلب المفعم بالحب والعدل والإحسان، لم يقل: ألم تسمع ما قال ذلك الأشقى، أو الألد، أو غيرها من الألفاظ التي تليق بعبدالله بن أبي، بل لم يُسَمِّه باسمه المجرد، ولم يقل: ابن أبيٍّ، وفي ذلك عدل وإقساط .وإنما ارتقى؛ ليفصح عما هو أعظم من ذلك، وليبين مدى تسامحه، ورقته، ورأفته، وسلامة صدره، وترفعه؛ فَكَنَّاه بكنيته وقال: أبو حباب.

وهو الذي قال :﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [51] وهو صاحب المواقف المشهورة بالخزي والشنار.هذا الرجل الذي كان من شأنه ما كان لما مات طلب ابنُه من النبي قميصه؛ ليكفنه فيه تطهيراً له؛ فأعطاه قميصه كفناً لزعيم. ولا ريب أن لتلك الحوارات والمواقف أثرها البالغ على الموافق والمخالف، فالنار إنما تُذكى بالعودين. والمتأمل للسيرة النبوية يلحظ أن النبي ﷺ كان يخطب الود في حواره كافة ، وفي أي فرصة تسنح له.

أما حواره مع المرأة، فقد أضفى عليه سمات أخرى، فكان مترفقاً معها، مراعياً لطبيعتها التي جبلها الله عليها متلطفاً حتى في أدق خصوصياتها، من ذلك ما رواه ابن كثير قال : محمد بن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء فرضخ لهن [من الفيء] ولم يضرب لهن بسهم حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قد سماها لي قالت أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا– وهو يسير إلى خيبر– فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال «على بركة الله» قالت فخرجنا معه، قالت وكنت جارية حدثة السن فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله، [قالت فو الله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت] وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها، قالت فتقبضت الى الناقة واستحيت. فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم قال «مالك؟ لعلك نفست» قالت قلت نعم، قال «فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك» قالت فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي فو الله لا تفارقني أبدا. وكانت في عنقها حتى ماتت،ثم أوصت أن تدفن معها،قالت وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت)[52]. لقد تفهم ﷺ، ما عرض للصبية من حرج، فأزاله منها بلطف حديثه، وإرشاده ، فعلمها ما تنتفع به المسلمات في طهورهنَّ فأعطاها بعد الفيء قلادة، ويلبسها إياها بيده الكريمة تقديراً لمجهودها الحربي .

وفي موقف آخر مع إبنته زينب ما يدل على رقته معها، وترفقه بها، ومراعاته لمشاعرها، وخصوصيتها ، لما كان أسرى بدر،كانَ أَبُو العاص بْن الربيع .فلما كان الفداء أرسلت إليه زينب بنت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ذلك قلادة لَهَا كانت خديجة أمها قد أدخلتها بها عَلَى أبي العاص حين بنى عليها. فَقَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن رأيتم أن تطلقوا لَهَا أسيرها وتردوا الَّذِي لَهَا فافعلوا)[53]. فلما كانت السرية كان فِيهَا أَبُو العاص فأقبل فِي الليل حَتَّى دخل عَلَى زينب رضي الله عنها، فاستجار بها فأجارته. فلما خرج رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصبح، وكبر وكبر الناس معه،

([51]) سورة المنافقون، الآية 8.

([52]) ابن كثير، البداية والنهاية ، مرجع سابق، ص204 المجلد الرابع غزوة خيبر – فصل من شهد خيبر من العبيد والنساء .

([53]) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله(1992م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج4، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ص1701.

صرخت زينب رضي الله عنها: أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بْن الربيع فلما سلم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة أقبل عَلَى الناس، فَقَالَ: هل سمعتم مَا سمعت؟ فَقَالُوا: نعم. قَالَ: أما والذي نفسي بيده مَا علمت بشيء كَانَ حَتَّى سمعت منه مَا سمعتم، إنه يجير عَلَى المسلمين أدناهم ثم انصرف رسول الله ﷺ، فدخل عَلَى ابنته، فَقَالَ لها حواره المعروف: أي بنية، أكرمي مثواه، و...و.... فخرج رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعث فِي تلك السرية، فاجتمعوا إليه، فَقَالَ لهم: إن هَذَا الرجل منا بحيث علمتم،...و.... قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، بل نرده عَلَيْهِ. فردوا عَلَيْهِ..... ثم خرج حَتَّى قدم عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلمًا، وحسن إسلامه، ورد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته عَلَيْهِ[54].فهذا ثمار التروي في الأمر والتلطف ، في حوار ظهر فيه مراعاة مشاعر المرأة ، فلم تكره على جبلتها التي خلقها الله عليها– بما لا يخالف مباديء الشرع .

لم يكن الرفق مع المرأة المسلمة فحسب، بل ومع غير المسلمة،عندما أُسرت ابنة حاتم في سبايا طي، فقدمت بها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجعلت في حظيرة بباب المسجد، فمرّ بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقامت إليه– وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد. فقال: «ومن وافدك» ؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفارّ من الله ورسوله» ! ومضى حتى مرّ ثلاثا، قالت: فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه. قالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ منّ الله عليك. قال: «قد فعلت» ، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلّغك بلادك، تم آذنيني. فسألت عن الرجل الّذي أشار إلي فقيل علي بن أبي طالب.وقدم ركب من بليّ، فأتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: قدم رهط من قومي. قالت:وكساني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخي، فقال: «ما ترين في هذا الرّجل» ؟ فقلت: أرى أن تلحق به[55]. فقد ترفق صلى الله عليه وسلم بالمرأة الأسيرة وأنزلها مكانتها لما عرف من فضل وكرم لأبيها، فحقق رغبتها بإطلاقها، بل حرص على تأمين ركبها، ولم يكن ذلك ، بل كساها وحملها العطايا والنفقات، مما شجعها وأخاها عدي حيث أتى النبي صل الله عليه وسلم واعلن إسلامه . ومما يشار إليه هنا أهمية تنمية مهارات التخاطب عند المرأة ، فقد أشارت الروايات إلى جزالة خطاب سفانة، فكان لخطابها أثر في بلوغ غايتها. فحسن الخطاب ومعرفة إدارة الحوار من أدب الإسلام الرفيع .

الخاتمة:

يمكن أن نخرج من هذا البحث– بالالتزام بموضوع الحوار وعدم الخروج عليه. وهذه مسألة منهجية وتنظيمية في غاية الأهمية، وعدم الالتزام بها يؤدي إلى خلط المسائل ببعضها الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى عدم إنضاج أي منها بالبحث والمساءلة والمقارنة والتقويم والاستنتاج . فالحوار يؤدي إلى إيضاح الحقيقة والإضافة إليها، فيعطي كل فرد ما يعرف من أجزاء الحقيقة حتى يمكن تركيبها كاملة؛ وحتى صاحب الحق فإن أجزاء من الحق تبرز له بصورة أوضح أثناء توقده الذهني في لحظات الحوار.فالخروج على الحوار قد يضر المجتمع ، بل سيضرب في عمق الإسلام، بعد أن يستفحل خطره، من خلال عدم الاحكام بزمام خصوصية ثقافة الحوار بين الأفراد والشعوب ؛ فهناك أفكار قد لا تجد طريقها إلى النور، لا سيما وسط الشباب، فستجد طريقها إلى من يحملها في قالب عنيف ومفاجئ، فالفكرة المكبوتة قنبلة موقوتةلا يحمد عقباها .

النتائج :

1– لابد من معرفة أطروحات الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار.

[54] المرجع السابق، ص1704

[55] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(د.ت) الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ص180.

2- ضرورة تحديد المصطلحات المستخدمة في الحوار وشرح مدلولاتها جيداً، لأن المصطلح الواحد قد يعني شيئاً مختلفاً عند كلا الطرفين.

3- مناقشة المسائل حسب أهميتها. فليس من آداب الحوار تضخيم المسائل الفرعية على حساب المسائل الأصلية، فإن كثيراً من المسائل الفرعية تنحل آلياً بمجرد مناقشة أصولها الكبرى ومصدر الاختلاف حولها.

4- أن يحسن كل طرف الاستماع إلى آراء الطرف الآخر، فلا يغفل عن الاستماع استهواناً أو تسفيهاً لآراء الآخرين، ولا يتمادى في الحديث حتى يجور على الوقت المخصص للآخرين.

5- المسلم مكلف بالاستماع تطييباً لخاطر من يتكلم وذلك أدعى إلى جلبه إلى جانب الحق، حتى الكافر يمنح تلك الفرصة في الاستماع ليعرض أفكاره وآراءه،فإن ذلك الحق نفسه لا بد أن يعطى للمخالفين ضمن إطار التصور الإسلامي العام، أو للمخالفين من أصحاب الثقافات والحضارات والأديان الكتابية، على وجه الخصوص، فالحوار آلية مهمة لتحقيق هذه الخصوصية الفردية بين الشعوب والأفراد؛ لرأب الصدع ولم الشمل .

التوصيات :

1- معالجة أولويات الحوار جيداً، وإقامة هيئة تحكيم لتضبط المتحاورين كلما جنحوا للخروج من إطار الموضوع، فتتضح الرؤية مع هدوء الخواطر وفتور الانفعال الوقتي الذي يصاحب لحظات الحوار.

2- لا بد أن يعلن المتحدث ويفصح عما يعني تحديداً بالمصطلح الرئيس الذي يدور حوله حديثه خلال الحوار.

3- تلطيف أجواء الحوار حيناً بعد حين، وذلك بإسداء بعض عبارات الاحترام والتقدير للطرف الآخر، ومخاطبة المحاور بإسمه، فإن ذلك أدعى إلى كبح جماح الانفعال لدى الطرف الآخر وتهدئة جموحه نحو التعدي وعدم الموضوعية.

4- عدم التسرع في الإقناع؛ لأن ذلك مما يجرح مشاعر الطرف الآخر. فالأفضل أن يظهر المحاور وجهة نظره بصورة واضحة، ويعطي الفرصة كاملة للطرف الآخر - حتى ولو كان خصماً - حتى يتأمل كل إنسان وجهة نظر صاحبه والتي هي موضوع الحوار.

5- تشييد جسر للتواصل السلمي البناء، وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات بمَنْهَج التَّوَسُّط والاعتدال، مما يبدد الجهود

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. ابن ماجة، محمد بن ماجة(د.ت) سنن ابن ماجة، ح5.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم(د.ت) لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت.
3. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، د.ن.
4. خالد بن محمد المغامسي (1425هـ) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ط1، مركز الملك عبدالعزيز للحوار.
5. د.طارق بن علي الحبيب(1426هـ) كيف تحاور، ط4، د.ن.
6. عزيز بن فرحان العنزي(2005م) البصيرة في الدعوة إلى الله، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي .
7. أحمد بن سيف تركستاني(د.ت) الحوار مع أصحاب الأديان، وزارة الأوقاف السعودية.
8. مسلم ، مسلم بن الحجاج(د.ت) صحيح مسلم، د.ن.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل(1407هـ) الجامع الصحيح، ترقيم: د. محمد أديب البغا ، دار ابن كثير، دمشق.
10. سيرة ابن إسحاق، باب آحاديث الأحبار و أهل الكتاب بصفة النبي صل الله عليه وسلم.
11. شمس الدين بن قايماز ، محمد بن أحمد بن عثمان (1993م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت.

12.ابن حجر، أحمد بن علي(د.ت) فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ن
13.الترمذي، محمد بن عيسى(د.ت) سنن الترمذي، ح3483، دار الكتب العلمية، بيروت.
14.الرازي، الفخر الرازي (د.ت) تفسير الرازي، ج16، د.ن.
15.ابن حنبل، أحمد(د.ت) مسند أحمد، ج5، د.ن.
16.دور الحوار في تعزيز الأمن الفكري – سلطان بن مسعد الصاعدي1432هـ
17.ابن كثير، اسماعيل ابن كثير (د.ت) البداية والنهايه، دار ابن كثير، بيروت.
18.ابن هشام، عبد الملك(د.ت) سيرة ابن هشام، دار المعرفة، بيروت.
19.عقيل قاسم النشمي(د.ت) طَرِيق الْبناء التربوي الإسلامي، دار الدعوة.
20.عبدالرحمن النحلاوي(د.ت) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط25، دار الفكر.
21.ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله(1992م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج4، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.
22. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(د.ت) الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية.